# ١٢ ـ أعيان القرن الرابع عشر

للعلامة المغفور له احمد باشا تيمور

## الشيخ أحمد مفتاح

العالم الشاعر الناثر ، أحمد بن مفتاح بن هرون بن أبي النَّعاس ينتهي نسبه الى عُمار بضمّ العين المهملة وتخفيف الميم ، أحد العرب النازلين من الصفراء الى أرض مصر حوالى القرن العاشر ، وبين أبي النعاس وعُمار جدان أو ثلاثة ، ولما ورد عمار مصر قطن بأقليم منية ابن الخصيب فى صعيد مصر ، وقامت بين عرب تلك الجهة منازعة أدت الى مقاتلة ، كان لجدّ المترجم أبي النعاس اليد الطولى فيها ، ويقال إنه حضر بعض الوقائع بدون سلاح ، ولقوّته أمسك جحشاً صغيراً من رجليه وضرب به حتى مات الجحش .

وقطن هرون الجدّ الأدنى للمترجم فى بلدة على الشاطىء الغربى للنيل بأقليم المنية تابعة لبنى مزار ، أنشأها حسن بن عبد العزيز أحد أجداد المترجم من جهة والدته ، وهى بلدة صغيرة اشتهرت بين العامة باسم أبى عجيز محرفاً عن أبى عزيز ، يعنون به حسن بن عبد العزيز مؤسسها ، على عاداتهم فى تكنية الرجل باسم أبيه ، ومازال هرون المذكور بها حتى ولد له مفتاح أبو المترجم سنة ١٢٢٩ ، وكان فى هذه البلدة رجل اسمه على أبو محمد ، من أقارب والدة المترجم ، جعلته الحكومة شيخ المشايخ ، وهو لقب كان يطلق إذ ذاك على من يحكم عدّة بلاد ، وكان جائراً فى معاملته فاعتدى على أناس من أهل البلد بالضرب حتى أشرفوا على الهلاك فاضطر بعض أهلها الى الشكوى للمدير مستعينين بعلى افندى الشريعى والد حسن باشا الشريعى ، وبعد اللتيا والتى ساعدوهم على الانفصال فانفصلوا واختطوا بلدة أخرى شمالى أبى عزيز سنة ١٢٦٤ سموها نزلة عمرو ، وانتقل اليها هرون بولده أبى المترجم ، وبنى بها داراً كبيرة ، وبقى بها حتى مات بعد أن أسن ، وكان سديد الرأى يُرجع اليه فى المشكلات .

ثم سكن هذه البلدة بعده ولده مفتاح ، وتزوج بها وأعقب جميع أولاده ، وحج سنة ١٣٠٤ فأرخ حجه ولده المترجم بقوله :

حَجَّ مفتاحٌ أبى معتمرا
سنة ١٣٠٤

ومات سنة ١٣٠٨ ، وكان طويلاً خفيف اللحية ، وقد وخطها الشيب ، وكان اشتغاله بالزراعة دون غيرها ، ويتحرى الحلال فى كسبه ، ويقول الحق ولو على نفسه ، وتعلم القراءة والكتابة فى الكبر ولم يجدهما ، ولما وصل نعيه الى ولده المترجم بالقاهرة رثاه على البديهة بقوله :

قضى والدى بالرغم منى وليتنى ... سبقت لأمر ساورتنى غوائله
لقد عاش دهراً لم يشبه بريبة ... حياة سخىّ فاض بالقوم نائله
وقام بعبء الدين والفضل صادقا ... وما المرء إلاّ دينه وفضائله
عليه سلام كلما غاب كوكب ... وسالت من الجفن القريح هواطله

وكانت ولادة المترجم ليلة السبت الرابع من شعبان سنة ١٢٧٤ ونشأ بالبلدة المذكورة فى حياطة والده ، وابتدأ القراءة على الشيخ جاد المولى ، فقرأ عليه القرآن وبعض المتون ، ومكث بعدها نحو ثلاث سنوات ، ثم حضر الى القاهرة سنة ١٢٨٩ لطلب العلم بالجامع الأزهر ، وتلقى عن شيوخ وقته ، فقرأ النحو على الشيخ محمد الشعبونى المغربى ، والشيخ عرفة سالم السفطى ، والشيخ عبد الله الفيومى ، والشيخ محمد البحيرى ، والشيخ سالم البولاقى ، والشيخ محمد الانبابى ؛ والفقه الحنفى على الشيخ عبد الرحمن السويسى ، والشيخ صالح قرقوش ، وحضر بعض دروس الأستاذ الكبير الشيخ محمد العباسى المهدى شيخ الجامع الأزهر ومفتى مصر إذ ذاك ؛ والبيان على الشيخ عرفة ، والشيخ على الجنائنى ، والشيخ محمد البحيرى ؛ وآداب البحث على الشيخ محمد البحيرى المذكور ، والمنطق على الشيخ محمد عبده ، والشيخ أحمد أبى خطوة ، والشيخ سالم البولاقى ، والشيخ محمد البحيرى ، والعروض على الشيخ محمد موسى البجيرمى .

وفى أثناء مجاورته بينما كان مسافراً من بلدته الى القاهرة فى سفينة كبيرة أيام زيادة النيل ، نزل يغتسل على سكان السفينة مع جماعة فانحدر مع الماء فى وسط النيل ، وتبعه أحد المغتسلين لانجاده ، فما زال سابحاً حتى كلت سواعده وكاد يغرق ، ثم نجا وخرج على الشاطىء الغربى للنيل وأرسل اليه من بالسفينة زورقا وصل به اليها ، وسافر مرة من القاهرة عائداً الى بلدته فى سفينة ، فتشاحن مع ربانها تشاحناً أدى الى اخراجه منها ، فخرج الى بلدة يقال لها الرّقة باقليم بنى سويف ، لا يملك شروى نقير ، سوى كتاب مخطوط

رهنه فى أجرة القطار لبلدته ، وله نوادر كثيرة أمثال ذلك من المشى على القدمين مسافات بعيدة ، والمبيت على الطوى فى كل غدوة وروحة بين القاهرة وبلدته .

وبعد أن قضى سبع سنوات بالأزهر مجداً فى طلب العلم ومباحثة الشيوخ ، عاد الى بلدته ومكث بها نحو سنتين مشتغلاً بحفظ الشعر ونظمه ، ولم يكن له بالأزهر كبير عناية به لانصرافه الى تحصيل العلوم ، ثم حضر الى القاهرة ، ودخل مدرسة دار العلوم سنة ١٢٩٨ فأعاد بها معظم العلوم العربية مع الجزء الأول من تاريخ ابن خلدون المشهور بالمقدمة على الشيخ حسين المرصفى ، ثم خلفه فى تدريس اللغة العربية شيخنا الشيخ حسن الطويل فتلقى عنه بعض المثل السائر ، ورسالة ابن زيدون الهجوية ، والزوراء للجلال الدوّانى فى الحكمة ، وانتفع به كثيراً ، وقال فيه وفى الأستاذ المرصفى :

دار العلوم شكت فراق أبى الهدى ... المرصفى الحبر أوحد ذا الزمنْ
فأجبتها حسن المعارف بعده ... لاتجزعى إن الحسين أخو الحسن

وتلقى التفسير والحديث بالمدرسة عن الشيخ احمد شرف الدين المرصفىّ ، والفقه الحنفى عن الشيخ حسونة النواوى ، والعلوم الطبيعية والرياضية على أساتذة آخرين بالمدرسة ، ثم خرج منها بعد أن نال الشهادة الدالة على براعته سنة ١٣٠٢ ، فقال بعد مفارقته المدرسة مضمّناً :

دار العلوم نثرتِ نظم أحبة ... كانوا بدوراً فى سماء علاك
حتى بَلِى عهدى بهم وتغيروا ... يادار غيّرك البلى ومحاك

واشتغل بعد خروجه من المدرسة بالكتابة فى صحف الأخبار كالأعلام والقاهرة ، وبالتدريس لبعض أناس منهم السيد توفيق البكرى ، ولما اتصل به حسّن له خلع العمامة والجبة وإبدالهما بالملابس الافرنجية والطربوش ، ثم فارقه واستُخدم كاتباً بمحكمة بنى سويف الأهلية نحو عشرة أشهر ، ثم انفصل وورد القاهرة فكتب فى المؤيد أياماً قليلة ، ثم امتحن للدخول بمدرسة دار العلوم مدرساً للانشاء فحاز قصب السبق وعاد للعمامة والجبة ، وأقام بها تسع سنين انتفع فيها الطلبة وتخرّج عليه كثيرون ممن يحسنون الكتابة الآن . ثم نقلوه بعد ذلك مدرساً للنحو بالمدارس الابتدائية فى الأقاليم ، فحطوا من درجته إلا أنهم أبقوا له مرتبه ، وكان أخيراً بمدرسة بنى سويف ومرض بها فأحيل على المعاش واختار السكنى بالقاهرة ، وابتنى مكاناً يعتزل فيه الخلق ويشتغل بالمطالعة وإتمام بعض تآليفه ، فاختار مصر الجديدة واكترى بها داراً صغيرة أقام فيها بمفرده مع خادم مسنّ كان يقضى له حاجاته من السوق ، ويقوم بتنظيف المكان ، وكان الشيخ مريضاً بمرض يعرف عند الأطباء بتصلّب الشرايين وهو لا يعلم بأمره ولا يهتمّ بنفسه ، حتى اشتد عليه أخيراً وهو يظنه ضيفاً مرتحلاً ، ثم تركه الخادم وعاد لبلده ، فبقى وحيداً بالدار حتى أدركه أجله المحتوم فجأة والأبواب مغلقة عليه ، وبقى أياماً لا يعلم به أحد ، حتى ظهرت رائحته للجيران فأخبروا رجال الشرطة فحضروا وكسروا الأقفال فألفوه مائلاً فى سريره وجزء من كتاب الأغانى ملقى بجانبه ، وكان ذلك يوم الأحد ٢٨ المحرم سنة ١٣٢٩ ، وقرر الطبيب أنه مضى على وفاته ثلاثة عشر يوماً ، فنقلوه ودفنوه تغمده الله برحمته .

* * *

ولم يكن اشتغاله بالعلوم على السواء ، بل كان جلّ اعتنائه بمتن اللغة والشعر والنثر ، فحفظ من اللغة مقداراً وافياً من الغريب وغيره ، وكلف بتصحيح شرح القاموس عند طبعه برمّته المرة الثانية . وكان اشتغاله بالشعر فى الأزهر قليلا كما قدمنا ، ولم يبرع فيه إلا عند دخوله دار العلوم طالبا ، وقد أرّخ أول إجادته فيه بقوله :

أقول الشعر عن فكر سليم ... ١٢٩٨

ونظم بعد ذلك القصائد المتينة والمقطّعات الثمينة ، وكان ينهج فيها منهج العرب لكثرة نظره فى دواوينها واقتناء الكثير منها استنساخاً أو نسخاً بيده ، ولو تم له الخيال الشعرى كما تمت له الديباجة وجزالة الألفاظ لكان أشعر أهل زمانه بلا منازع . ولما عاد الأمير محمود سامى باشا أشعر شعراء العصر من منفاه بسيلان ، وكان بعيد العهد بشعراء مصر ومن حدث منهم لم يعجبه إلا شعر المترجم فى رصانة البناء وسلامة التراكيب . وأما نثره فتوأم شعره فى الأسلوب العربى ، وكان مولعاً بالتضمين فيه من شطر عربى أو مثل سائر ، لاتكاد تخلو قطعة منه من ذلك .

وقد ترك من التآليف « رفع اللثام عن أسماء الضرغام » جمع فيه ماينيف على خمسمائة اسم للأسد ، طبع بمصر ؛ و « مفتاح الأفكار فى النثر المختار » جمع فيه مختار النثر من رسائل وخطب من الجاهلية الى هذا العصر ، وهو كتاب جليل الفائدة ، طبع بمصر أيضاً ؛ و « مفتاح الأفكار فى الشعر المختار » جمع به مختار الشعر من الجاهلية الى عصرنا هذا ، لم يطبع ولم نطلع عليه ؛ وله ديوان حماسة من شعر العرب استدرك به على أبى تمّام ما فاته ؛ و « مفتاح

الانشاء» لم يكمله ، وأخذ فى أواخر أيامه فى جمع شعره ونثره وترتيبه فى ديوان ، ولا أدرى ما فعل الدهر به .

وكان رحمه الله غريب الأطوار ، سريع الغضب سريع الرضا ، مع صفاء الباطن ، له شذوذ فى أخلاقه يتحمله من عرفه وعاشره ، أسمر اللون ، أسود اللحية والشاربين كبيرهما ، أميل الى الطول ، له هزة وتبختر فى مشيته لمرض كان أصابه فى ظهره ورجليه . ولما انتقل الى مدارس الأقاليم صار يحضر الى القاهرة فى فترات فينزل عندنا ويجتمع به إخوانه وأصدقاؤه فى ليال كنا نحييها بالمطارحات الأدبية وإنشاد الأشعار .

ومات ولم يعقب غير بنتين زوجهما فى حياته ، رحمه الله .

## الشيخ أحمد وهبى

كان طالب علم فقير ثم تزوج باحدى الموسرات فحسنت حاله وفتح له حانوت طرابيش بالغورية جعلها مجتمع الأدباء والشعراء ولم ينجح فى التجارة فتركها وأخذه الشيخ مصطفى سلامه النجارى معه فى الوقائع المصرية وجعل محرّراً ثانياً بها ثم فصل وتقلبت به الأحوال فاتصل بأسرة المويلحى ثم بالشيخ على أبى النصر شاعر الخديو اسماعيل باشا فسعى له فى الاستخدام بنظارة المعارف فلم يوفّق .

وكان طلبه العلم على الشيخ منصور كسّاب وغيره من شيوخ الوقت وتعلق بالأدب ونظم الشعر الجيّد وكانت وفاته سنة ١٢٧٣ ، كما فى ص ٣٣٠ من ديوان الشيخ شهاب . اهـ

احمد تيمور

(الرسالة) بهذه الترجمة انتهى ما كتبه العلامة الجليل المرحوم أحمد باشا تيمور من تراجم علماء القرن الرابع عشر وأدبائه ، وسيدرك القراء ولا ريب حزاز من الأسف على انقطاع هذه السلسلة الفريدة فى روحها اللطيف ، وأسلوبها العذب ، ومعرضها المشرق ، وصدقها الأخاذ ، وطابعها الجميل . فهل لشيخ من شيوخ الأدب اجتمعت له مزايا الفقيد من فهم العصر ، وملابسة الأشخاص ، وتذوق التاريخ ، وتوخى الايجاز ، وصراحة اللهجة ، يصل ما انقطع من هذه السلسلة ؟ ومَنْ أحق بهذه الخدمة الجليلة للأدب والعلم والوطن من الأستاذ عبد الوهاب النجار ؟

فى تاريخ الأدب

# رأى جديد فى المعلقات

نقد وتعقيب

بقلم محمد طه الحاجرى

كتب الأستاذ الفاضل الشيخ عبد المتعال الصعيدى فصلاً فى « الرسالة » جعل عنوانه : ( المعلقات . رأى جديد فيها ) ، وقد والله فتننى هذا العنوان أيما فتنة ، واستوقفنى عن قراءة المقال برهة ، وأسلمنى الى طائفة من الخواطر غير قليلة . فقد طال عهدنا بالطريف من الآراء فى تاريخ الأدب ، واشتدت حاجتنا الى اعادة النظر وتقليب الفكر فى تراثنا الأدبى ، واستشفاف الحقيقة المستكنة فى ثنايا النصوص المختلفة ، والتأويلات الكثيرة ، ولاسيما فيما يتعلق بالعصر الجاهلى ، وقد وقفنا منه فى مجهل لايتبين الباحث فيه إلا نتفات خاطفة ، وأثارات ضئيلة ، يكتنفها الغموض ويحيط بها الابهام وتلعب بها الأوهام . . . وما نشك فى أن المعلقات صورة صحيحة من ذلك العصر ، مهما كان أمرها ، ومهما اختلفت فيها مذاهب الباحثين وآراؤهم . فكل رأى جديد فيها جدير أن تلتفت اليه القلوب ، وتصغى اليه العقول ، ويتلقاه المتأدبون بالبشر والترحيب ، إذ الجديد وحده هو الذى ينتظر منه أن يبدد الظلمات ويزيل الشبهات ، ويفسر المشكلات . وليس الأستاذ الصعيدى ممن يتهم بأن له مع المستشرقين علاقة هوى ، فيميل ميلهم ، ويفسد الأدب والتاريخ بآرائهم ! فجديده لابد أن يكون الجديد الخالص لا يشوبه شوب من تقليد . وهو رجل محافظ بطبعه ، فيما يظن الناس ، فجديده خالص لوجه العلم والحقيقة ، لا عن رغبة فى الخلاف وهيام بالتجديد .

حدثتنى بهذا الحديث نفسى ، وأنا واقف عند حد العنوان ، ولكنى كنت أنتقل فى مدارج الغبطة والفخر والسرور ، حتى أقبلت على المقال ألتهمه التهاماً ، فاذا بى لا أحس شيئاً مما خيله